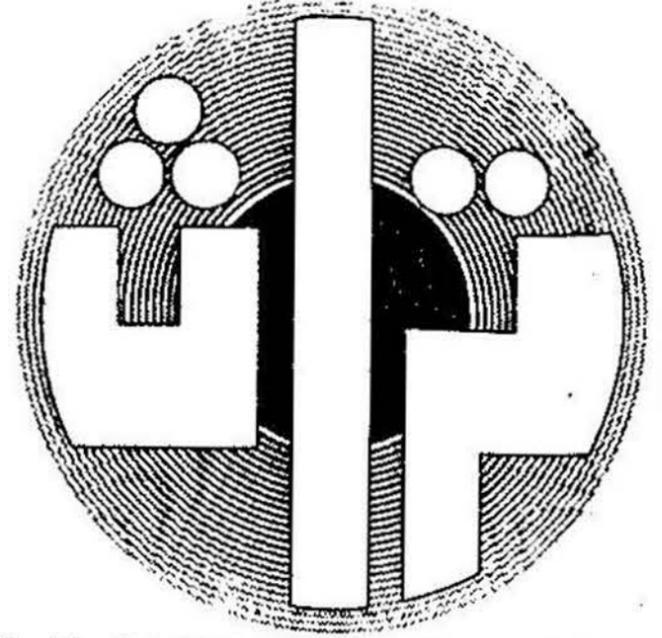


المصدر:المعالم اليوم
التاريخ:١٠ صفر ١٤١٢ هـ

الإسلام دخل بلاد «الكومنولث» في القرن الأول الهجري



ظل الروس وثنين حتى نهاية القرن العاشر الميلادي حين اعتنق الامبراطور قلاديمير الارثوذكسية سنة ٩٨٨ وجعلها الدين الرسمي للروس، واعلن تبعية الكنيسة القسطنطينية، وارتبط الروس برباط المصاهرة مع البيزنطيين في القسطنطينية، ثم اسقطت الدولة العثمانية الامبراطورية البيزنطية واستولت على القسطنطينية وامتدت فتوحات العثمانيين في البلقان والقرم والقوقاز فاحتد النزاع بين الروس والعثمانيين، وكان عداة دينيا سياسيا، زاده ان العثمانيين كانوا الممثلين للقوة الإسلامية في ذلك الوقت بينما كانت روسيا تحقد على العثمانيين استيلاءهم على القسطنطينية مركز الكنيسة الارثوذكسية واستيلاءهم على البلقان والشعوب السلافية التي تشترك مع الروس في روابط الدم والثقافة.. وبذلك كان القضاء على الدولة العثمانية هو الطموح الأساسي لقيصرة روسيا في عصر ضعف السلطة العثمانية.. وتلك الكراهية الروسية للعثمانيين وجدت مجالها في علاقة الروس بالدويلات والجماعات الإسلامية في اسيا الوسطى، وهم ينتمون في أغلبهم إلى العنصر التركي الذي يتحدر منه الأتراك العثمانيون، وقد استطاع الروس الثار من العثمانيين وما فعلوه في البيزنطيين والبلقان والسلاف بان انتقموا من الأتراك المسلمين في أواسط اسيا بالاستيلاء على بلادهم قبل وبعد الثورة الشيوعية.

أعلام الحضارة الإسلامية أجداد مسلمى دول أسيا الوسطى

د. أحمد صبحي منصور

واعتنى العباسيون بتلك المناطق خصوصاً وقد قسام ملك بني العباس على أكتاف أبي مسلم الخراساني وشيعته من الخراسانيين والفرس، وكانت إيران تشمل بلاد تركستان قبل ظهور الإسلام، فلما أحس الفرس الإيرانيون بقوتهم في الدولة العباسية أقام بعضهم دولا مستقلة في تركستان في الخلافة العباسية مثل الطاهريين والسامانيين، بل إن بعض الأتراك كالسلاجقة أقاموا لهم ملكاً في تركستان ثم سيطروا على بغداد والخلافة العباسية.. وتوالى قيام الدول إلى أن ظهرت الدولة الخوارزمية ثم جاء الزحف المغولي وقضى على الخلافة العباسية، وسيطر المغول على أواسط آسيا وإيران والعراق خلال إمبراطورية هولاكو ثم تيمور لنگ وذريرتها فيما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر.. ثم بعد المغول استولى عليها الأوزبك، ثم انقسمت إلى عدة إمارات حتى استولت عليها روسيا في القرن التاسع عشر، ثم الثورة البلشفية في القرن العشرين.

وقد بدأ الروس في التوسع على حساب جيرانهم المسلمين منتهزين ضعف السلطة الإيرانية وتشرذم الولايات التركية فيما وراء النهر، ففي عهد القساجاريين ضمت روسيا منطقة جورجيا سنة ١٨٠١ واضطرت إيران للاعتراف بذلك في معاهدة كلستان سنة ١٨١٣، وقامت الحرب بين روسيا وإيران سنة ١٨٢٦، وانتصرت روسيا فضمت إليها مناطق تركستان الباقية، كما ضمت إليها سنة ١٨٦٤ منطقة الشركس والقوقاز التي تمتد من البحر الأسود إلى بحر قزوين، بل ضمت كل المناطق الواقعة بين منغوليا وقزوين وكانت كلها مناطق إسلامية وورث الاتحاد السوفيتي تلك المناطق. وكانت روسيا القيصرية شديدة الاضطهاد للمسلمين، فلما جاء الشيوعيون ١٩١٧ أعلنوا مبادئ الحرية والمساواة لجميع الشعوب وأعطوا للمسلمين الحق في تكوين هيئة تشريعية إسلامية، وبعد أن اطمأن البلاشفة إلى سلطانهم شن الجيش الأحمر حرباً قاسية ضد المسلمين الثائرين.

وقد وفد الترك إلى منطقة ما وراء النهر في القرن السادس الميلادي أي قبل ظهور الإسلام لذا سميت المنطقة تركستان وكانت تشمل قبل الفتح الإسلامي عدة ولايات وممالك منها مملكة طخارستان على نهر جيحون وعاصمتها بلخ، ومملكة صغانيان على شمال نهر جيحون وعاصمتها شومان ومملكة الصغد وهي تقع بين نهري سيحون وجيحون وعاصمتها سمرقند وأهم مدنها بخارى، ومملكة فرغانة الجرجانية، ومملكة اشروسنة شرق فرغانة على جانبي نهر سيحون وعاصمتها جخذة أوكاشان ومملكة خوارزم بالقرب من بحر الخوارزم وعاصمتها وعاصمتها بجنكث، ومملكة الشاش في شمال نهر سيحون وعاصمتها الطارنبذ أو بنكث. وفي ذلك الوقت لم تكن هناك حدود ثابتة بين تلك الممالك إذ كانت الحروب بينها سجالات، كما كانت تتعرض لعدوان من الصين.. ثم دخلت تلك الممالك في تاريخ جديد بظهور المسلمين الذين انحدروا إليهم من إيران بعد أن أسقطت الفتوحات الإسلامية الإمبراطورية الفارسية التي كانت حاجزاً بين العرب والترك.

وقد وصلت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان إلى جنوبي بحر قزوين ثم تخطت الجيوش الإسلامية نهر جيحون ودخلت بلاد ما وراء النهر واستولى المسلمون على بلخ وهراة وكابول وغزنة.

ففي عهد معاوية أحكم المسلمون سيطرتهم على بلخ وبادغيس وهراة، ووصلت غاراتهم إلى بخارى وسمرقند، وتوقفت الفتوحات بسبب الحروب الأهلية بين المسلمين، ثم عاد المسلمون للفتوحات تحت قيادة المهلب بن أبي صفرة وابنه يزيد وأخيه المفضل.. ثم دخلت الفتوحات الإسلامية في دور جديد تحت قيادة قتيبة بن مسلم الذي بدأ الفتوحات المنظمة المستقرة واستطاع بذلك أن يوطد الفتوحات في بلاد ما وراء النهر وأن ينشر فيها الإسلام، بل واقترب من الصين، وواكب ذلك نزوح كثير من المسلمين للإقامة هناك، إذ تدفق إليها خمسون ألف أسرة من الكوفة والبصرة كانوا عوناً على نشر الإسلام واللغة العربية، فأصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية المتحدة في عهد الأمويين.

وبعد سبعين عاما من التطبيق الشيوعي القائم على الاضطهاد والطفيان لنهارت الشيوعية من الداخل، ولأنها الرباط الوحيد الذي كان يجمع دويلات ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي فقد انفرط عقد هذا الاتحاد، وظهر ما يسمى بدول الكومنولث وهو صيغة مؤقتة لتوفيق الأوضاع وتوزيع تركة الاتحاد السوفييتي في صورة سلمية يرضى عنها النظام العالمي الجديد.

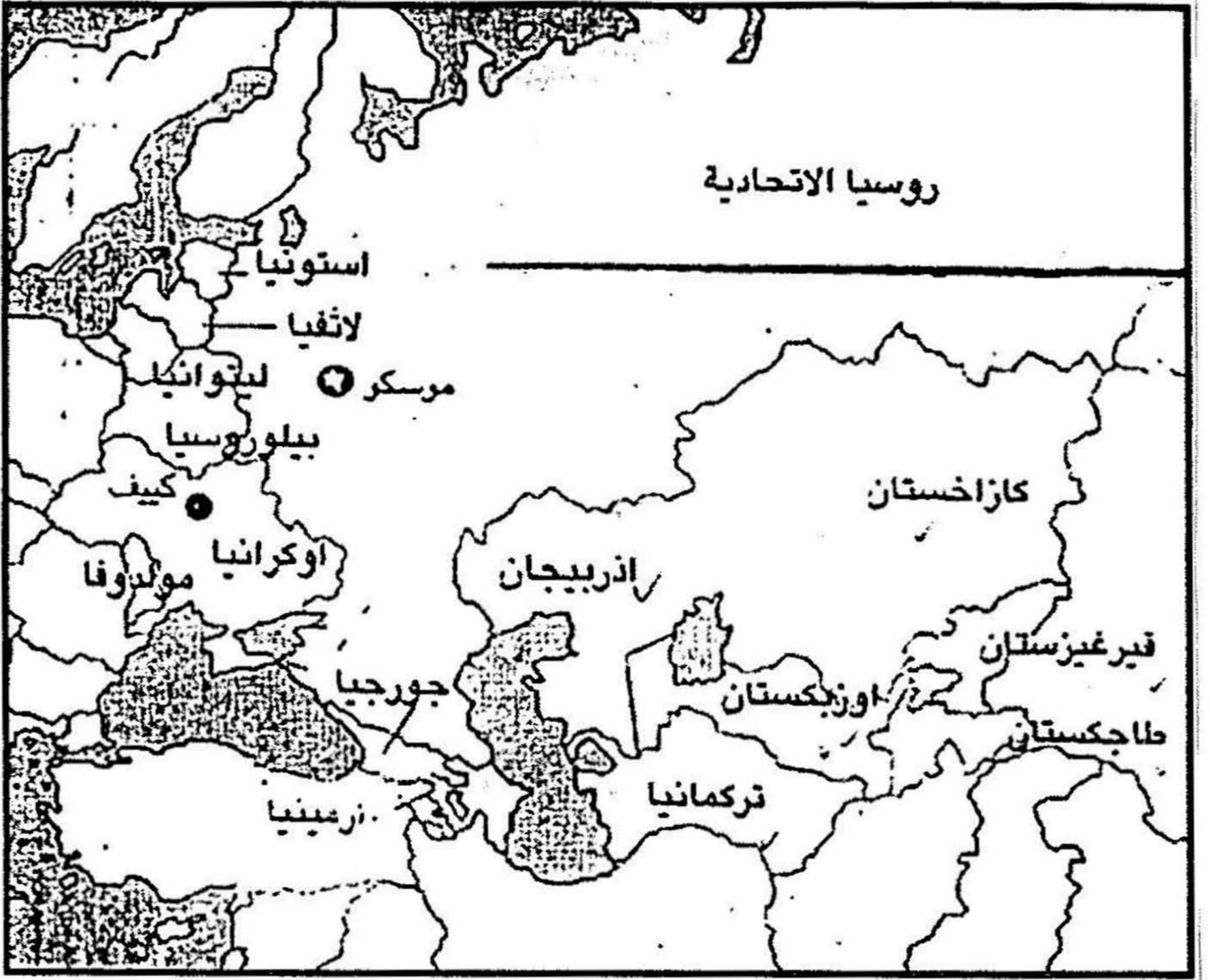
المناطق الإسلامية

وأهم المناطق الإسلامية في الكومنولث الجديد هي أوزبكستان وتركمانستان وجورجيا وطاجيكستان وأذربيجان.

جمهورية أوزبكستان: مساحتها ٤١٠ كيلو مترات مربعة، وهم خليط من المغول والتركمان، وتنسب هذه الجمهورية إلى قبائل الأوزبك وتحيط ببحيرة أورال وكانت تسمى بلاد ما وراء النهر، وعاصمتها طشقند، وبها ثروة معدنية هائلة من البترول والفحم والنحاس بالإضافة إلى محاصيل زراعية متنوعة أهمها القطن، وقد غزاها الروس ١٨٧٥ ثم أصبحت جمهورية تأسيسية ١٩٢٤.. ومن مدنها ذات التاريخ الإسلامي العريق بخارى وسمرقند وخوقند.

جمهورية تركمانستان: مساحتها ٢٨٦ كيلو مترا مربعا.. وعدد سكانها حوالي ٢ مليون ويحدها من الغرب بحر قزوين ومن الشرق أفغانستان وعاصمتها اشخاباد.. وقد غزاها الروس في أواخر القرن التاسع عشر، ثم أصبحت جمهورية تأسيسية في الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٢٤، ومن مدنها الشهيرة «مرو» وهي ذات تاريخ إسلامي حافل.

جمهورية جورجيا: تطل على البحر الأسود وسكانها حوالي ٥ ملايين، وقد استولى عليها الروس سنة ١٨٠١ وأصبحت جمهورية تأسيسية في الاتحاد السوفييتي ١٩٢٤.. وتحتوي جورجيا على أهم مناجم للمنجنيز في العالم، وعلاقة جورجيا وثيقة بالإسلام، فقد دخلها الإسلام منذ القرن الأول الهجري، والمراجع التاريخية تسميها بلاد الكرج، وكانت تحت حكم السلاجقة في العصر العباسي الثاني، ثم حكمها المغول ثم الصفويون ثم



فأكرمه الأمير وسمح له بالتردد على مكتبته، وله كتاب «القانون» في الطب و«الشفاء» في الفلسفة عدا مائة مصنف أخرى في شتى العلوم.

ومعظم مؤلفاته تمت ترجمتها إلى اللاتينية وسائر اللغات الأوروبية وبقيت عدة قرون مرجعا لأوروبا، على أن كتاب «القانون» في الطب هو أهمها جميعا ويقال عنه إنه خير ما تفتخر به الحضارة العربية وقد تناول فيه علوم وظائف الأعضاء وعلم الأمراض وعلم الصحة ومعالجة الأمراض وعلم الأدوية وبعد ترجمته إلى اللغات الأوروبية تمت طباعته خمس عشرة مرة وكان العمدة في دراسة الطب في الجامعات الأوروبية حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي.. لذا يقول فيه المؤرخ سارتون: إن ابن سينا أعجز من جاء بعده أن يجاريه، وقال فيه لكثير: إن ابن سينا ظاهرة فكرية ربما لا يجد من يساويه في ذكائه أو في نشاطه الإنتاجي.

ونتوقف مع عالم آخر ينتمي إلى نفس المنطقة وهو أبو الفتح عبد الرحمن المنصورة المعروف باسم الخازن.. وقد كان من أشهر علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وقد نشأ في «مرو» التي تقع حاليا في دولة تركمانستان، ودرس فيها، واشتهر ببحوثه في الرياضيات والميكانيكا والطبيعة والفلك، وله زيج فلكي، وجمع أرصادا غاية في الدقة ومن أشهر كتبه ميزان الحكمة، ترجم إلى اللغات الأوروبية وهو الأول من نوعه بين الكتب العلمية القيمة، وقال عنه سارتون إنه من أجل الكتب التي تبحث في هذه الموضوعات وأروع ما أنتجته العقلية الإنسانية في القرون الوسطى، كما اعترف «بلتن» في أكاديمية العلوم الأمريكية بما لهذا الكتاب من شأن في تاريخ الطبيعة وتقدم الفكر عند الغرب.

تلك كانت لمحة سريعة عن اثنين من علماء الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى نشأوا وعاشوا فيما يعرف الآن بالكومنولث «السوفييتي» سابقا.. ترى هل ستنتجب نفس المنطقة علماء يسهمون في تقدم العالم الإسلامي ويسترجعون مجده القديم؟

العثمانيون، وأل أمرها إلى الروس في النهاية!!
جمهورية طاجيكستان: تقع في حوض نهر جيحون، وسكانها حوالي مليونين، وقد أخذت اسمها من شعب «الطاجيك» وهم من المسلمين السنيين الذين وفدوا من إيران وسكنوا منطقة التركستان، وهم يمثلون ٧٨٪ من السكان، وتكثر بها المعادن الثمينة كالذهب والفضة واليورانيوم، وقد ضمها الاتحاد السوفييتي ١٩٢٩.

جمهورية أذربيجان: دخل الإسلام منطقة أذربيجان منذ القرن الأول الهجري وقامت بها دول إسلامية أهمها الأتابكة وشاهات خوارزم، ثم زحف الروس واقتطعوا منها جزءا ضموه إلى دولتهم، وهو أذربيجان الروسية، وتحتفظ إيران بالجزء الباقي.. ويفصل بين المنطقتين نهر أراس.. ومساحة أذربيجان الروسية واسعة ويسكنها حوالي ٥ ملايين، وعاصمتها باكو، وهي غنية بالبتروول ويزرع فيها القطن والكروم والشاي وسكانها مسلمون شيعة. أسهامات دول الكومنولث في الحضارة الإسلامية كانت بخاري وسمرقند من أهم المراكز العلمية في الشرق الإسلامي خصوصا حين اتخذ السامانيون من بخاري عاصمة لهم فاجتذبوا إليهم كثيرا من العلماء كان أهمهم ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) الذي انتقل إلى بخاري مع أسرته في عهد السلطان نوح الثاني بن منصور الساماني.. كما اشتهرت سمرقند بعلماء الفقه والحديث وأهمهم أبو حاتم السمرقندي «ت ٣٥٤» وأبو الليث السمرقندي «ت ٣٧٢»، هذا بالإضافة إلى البخاري عالم الحديث الأشهر الذي تفتخر به بخاري وماحولها.

على أن الحضارة الإسلامية تتيه على العالم بعلماء موسسوعيين أبهروا الغرب بمستواهم العلمي وبأسهاماتهم في تقدم البحث العلمي فأشادوا بهم وأعترفوا بفضلكهم.. وأولئك العلماء الموسسوعيون نشأوا ونضجوا في الجمهوريات المعروفة الآن بدول الكومنولث الإسلامية السوفييتية سابقا.

يقول سارتون عن الشيخ الرئيس ابن سينا «لقد كان لكتبه من القيمة والإحاطة مما جعل العلماء يقبلون على دراسة كتبه واستغنوا به عن غيره».. وقد ظهر نيسوخ ابن سينا في الطب وهو في السابعة عشرة من عمره ونجح في مداواة الأمير نوح الساماني